الاحزاب في مصر

كان يطرق مسامعنا في المجالس ونبصر أعيننا في الجرائد كلمة « الحزب الوطني » ولا نجد لها مدلولا وما زالت الجرائد الانكليزية تقول ان في مصر حزبا وطنيا سياسيا حتى صار فيها عدة أحزاب وربما أخذت هذه الجرائد ذلك من الحركة الوطنية التي قامت في وجه الاحتلال في أوائل ولاية أمير البلاد هذا العهد إذ كان كل متحمس بتلك الحركة يمدح بالوطنية والمنكر لشيء منها أو المتقاعس عن مشاركة ذويها يرمى بالميل الى الاحتلال ثم صار يوصف أهلها بالحزب الوطني . ويظن بعض المفكرين ان الانكليز غرضا في وجود الأحزاب بمصر لا سيما النوع الذي يعرف عندهم بالمتطرف فكانت كتابة جرائدهم إغراء بذلك ودعاية اليه

ومن الناس من يقول أن تسمية أولئك الذين قاموا في وجه الاحتلال حزبا خطأ عرفي أو لغوي اذ يفهم منه ان في البلاد حزبا آخرا وأحزابا أخرى يناظر ويعارض بعضها بعضا ولم يكن في البلاد شيء من ذلك وانما كان السواد الأعظم مشبوطا بما ظهر به أولئك الذين يكتبون في مقاومة المحتلين ويستميلون فرنسا لمساعدتها عليهم وما كان يوجد لهم معارض وكان يوجد أفراد يعتقدون ان ما قاموا به عقيم أو ضار لما أفادهم النظر في العواقب ولكن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يعارضون ولا يقاومون وغاية ما كان يظهر من الواحد منهم أن يكاشف صديقه من الآخرين برأيه . والصواب أن مثل أولئك يصح أن يطلق عليهم لفظ « حزب » لغة فان الحزب كما في المعاجم جماعة الناس والصنف والطائفة منهم وقال الراغب : الحزب جماعة فيها غلظ : وفي لسان العرب « وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه » ثم قال « وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضا »

فأنت ترى أن تسمية أولئك القوم حزبا وجيها في اللغة وجيها ولكن للاحزاب في أوربا معنى اخص وهو عبارة عن ارتباط المتشاكلين في القلوب — أي الشعور بالحاجة الى مصلحة عامة — وفي الأعمال لهذه المصلحة بقانون معروف ولم يوجد

مثل هذا في مصر الا في هذا العام فقد تشكل فيه حزب الأمة والحزب الحر وحزب الاصلاح الدستوري والحزب الوطني وسمعنا أيضا نغمة حزب آخر سمي الحزب الجمهوري . ولذلك سمي هذا العام عام الاحزاب وقال الشيخ عبدالمحسن في قصيدة يذكر فيها مرضه وشيئا من العبرة بحال الزمان وأهله

وطوارق الاسقام ما برحت　　تنتاب كالأحزاب في مصر

أما موضوع هذه الأحزاب فهو بحسب ما صرح به زعماؤها واحد المقصد منه خدمة البلاد بالوسائل الممكنة حتى قيل إن الخلاف بينها في الألفاظ والأشخاص فقط . والصواب أن لكل حزب منها قطبا يدور عليه وهو مؤسس الحزب ورئيسه الموثوق به عند المؤسسين المتعارفين المستعدين لشرب الحزب الا حزب الأمة فان رئيسه ليس هو المؤسس له الذي تدور عليه سياسته وإنما هو منتخب انتخابا حقيقيا لرياسة شركة الجريدة قبل أن يسمى جمهور المؤسسين أنفسهم حزبا سياسيا . ولهذا يطلع سائر الأحزاب في سقوط هذا الحزب لأن الشرق لم يشهد الأعمال المشتركة وإنما قوام أموره بالأفراد ولأن أفراده ليسوا متفقين على مقاصده ولا متعاضدين فيه بل منهم من يغريه بعض الدوائر ويساعد غيره عليه ولأنه ليس له سلطة يأوي اليها ويعتمد على مساعدتها وامدادها والسلطة في هذه البلاد سلطتان سلطة الأمير الرسمية في الأحكام الحقيقية في نفوس الجمهور ميلا وسلطة الاحتلال الحقيقية في الأحكام والأعمال . وهذا الحزب يريد أن يكون وسطا بين هاتين السلطتين باسم الأمة فلا هو مع الانكليز كما أشيع ولا مع الامير فيما يحب الأمير وري في السياسة وان كان مخلصا كغيره للخديوية نفسها . هذا هو مبدأ العاملين فيه الآن فهو لاستمداد الامن ذاته فاذا نجح كما نحب فذلك من دلائل ارتقاء الأمة في الأمور الاجتماعية واذا هو سقط فسقوطه برهان على أن الأمة لم تعد طور الطفولية في حياتها الاجتماعية

والحزب الحر مؤسسه محمد وحيد بك وهو رئيسه الداعي اليه والمدافع عنه بمساعدة صديقه محمد نشأت بك الذي كان من حاشية الأمير (معينه) وهو كاتب مجيد بالفرنسية وليس لهذا الحزب جريدة خاصة كغيره وانما يكتب عنه محمد وحيد بك في المقطم ومحمد نشأت بك في بعض الجرائد الفرنسية كالمؤيد وغيره ولم

يدخل فيه أحد من أكابر البلاد وافراده أقل من افراد سائر الأحزاب وهو يمتاز بكثرة الحث على مسالمة المحتلين والثناء على مايستحسن من أعمالهم في البلاد فهجيراه هذه الكلمة « سلامة المصريين في مسالمة المحتلين » فهو لا يخالف غيره من الأحزاب الا في هذا وهو خلاف قولي اذ لا يقول حزب من الأحزاب بوجوب مقاومة المحتلين ومعاداتهم بالعمل وانما قصاراهم أن يبالغوا في انتقاد مايرونه منتقدا من أعمالهم ويكبروه ويكثروا من الثناء على مايرونه حسنا نافعا أو يصغروه. فذاك يمدح ولا يذم ولا ينتقد وهم يذمون وينتقدون وقلما يمدحون ولا خلاف في سائر المطالب الاسلامية بل في وقتها وطريق طلبها

وأما حزب الاصلاح الدستوري فمؤسسه الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وهو رئيسه وقد اختاره من الأعضاء من مجموعهم الرأي وترشدهم الروية ويثبتهم الركن الركين الذي يأوون اليه فقانونه أوضح قوانين الأحزاب ورجاله أدمى رجالهم والشيخ على نفسه أبعد المشتغلين بالسياسة المصرية غورا وأشدهم حزما وأحذقهم في الدخول في الأمر والخروج منه. والفرق المطبق بين هذا الحزب وغيره من الأحزاب التي تشاركه في الخدمة العامة للأمة انه مؤيد لسياسة الأمير لا يتحول عنها في حال من الأحوال ينهم اذا أتهمت ويبعد اذا أبعدت ويوالي من والت ويعادي من عادت فهو حزب طبيعي متين والرجاء في ثباته وبقائه أقوى من الرجاء في سائر الأحزاب بحسب ماعليه مصر من الحالة الاجتماعية والسياسة الآن ولا دليل على تغيرها في زمن قريب

وماصرح به هذا الحزب في قانونه من كون طلب المجلس النيابي أصلا من أصوله لا ينافي تأييده لسياسة الأمير صاحب الحكم الشخصي فان طلب المجلس النيابي مرضي للأمير أيده الله بتوفيقه كما علم من حديثه المشهور مع مكاتب جريدة التان الفرنسية بل لا يبعد أن يكون هو أول من فكر بوجوب طلب الأمة له كما يقول بعض العقلاء

وأما الحزب الوطني فمؤسسه الآن مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء وهو رئيسه وهو جزء من الحزب الوطني الذي كان موجودا بالقوة أو بالفعل من قبل على ماسيناه في صدر هذا المقال والقسم الآخر من ذلك الحزب هو حزب الاصلاح

الدستوري . والفرق بين هذين الحزبين على ما أرى — وهو رأي يوافقني عليه كثير من العقلاء — هو أن حزب الاصلاح الدستوري يجمعه الرأي وبه يعمل والحزب الوطني يجمعه الاحساس والشعور وبه يعمل وأن شخص صاحب جريدة المؤيد ليس ركنا من أركان الحزب الأول — وان كان قطبه وأقدر العاملين فيه — ولكن شخص صاحب جريدة اللواء ركن من أركان الحزب الآخر مقصود بالذات منه ولذلك اتفقوا على أن يكون رئيس الحزب مادام حيا بلا شرط ولا قيد . ويظهر لنا أن المحبين بالحزب الوطني أكثر عددا من المحبين بغيره من الأحزاب . لأن منهم فيما يقال أكثر تلاميذ المدارس والخائضين في السياسة من العامة وذلك معقول لأن هؤلاء هم الذين يتبعون داعي الشعور ويخضعون لسلطان الوجدان ويحبون الثبات أكثر ممن عداهم . وقد سلكت جريدة اللواء طريقة تحريك الوجدان وتهييج الشعور الوطني بعناية عظيمة تناسب الاستعداد الغالب على الشعب . ويظن أن غرض صاحبها من ذلك ومن نشر الدعوة الى حزبه في الأرياف هو أن يستميل رأي السواد الأعظم الى نفسه حتى يكون زعيما حقيقيا اذا دعا الى شيء تؤيده الأمة بالمال والحال . . . وادعاؤه هذه الزعامة من قبل دليل على استعدادها فانا قد تعودنا أن نرى كل رأي للواء معزوا الى الأمة برمتها حتى مثل العفو أو عدم مقاضاة ذلك المجرم القاتل في السودان . وقد أمدته في استعداده هذا الجرائد الانكليزية في أثناء حادثة العقبة اذ كانت تصفه بالزعيم المهيج وغرضها من ذلك معلوم فيالله من دهاء الانكليز

هذا وان في كل حزب من الأحزاب من الرجال المحبين لخير البلاد والمخلصين في خدمتها بحسب اعتقادهم من يعتمد عليهم في القيام بشؤونها . وقد جهل بعض الحقيقة من قال ان كل حزب قد أنشئ لتأييد جريدة ومدير تلك الجريدة هو منشئه ومسخره لجريدته ومن انه لا فرق بين هذه الأحزاب في المقصد

ونرجو ان يكون إنشاء الاحزاب في مصر آية من آيات الأخذ بالارتقاء الاجتماعي وان يكون تعددها سببا لطول حياتها لما تقتضيه المباراة والمزاحمة من تمسك كل حزب بما قام به ونسأله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والمصلحة للبلاد